

بسم الله الرحمان الرحيم

## تحذير أهل الفلاح من الاغترار بدعوى مدعي الإصلاح. كلمة حول الانتخابات الرئاسية في الجزائر.

يظهر أنه بدأ السباق المحموم الذي بدأ يظهر أواره، ومع مرور الأيام ستستعر ناره، نحو قصر الرئاسة ب(المرادية) بالجزائر، كما يظهر أن الساسة (لبراغمتيين) النفعيين الذي يريدون اجتزاء ما يقدرون عليه من (الكعكة) الكبيرة، واستدرار ما يقدرون عليه كذلك من البقرة الحلوب (خيرات الجزائر) وعلى رأسها البترول والغاز، كما فعل الأمين!! شكيب خليل وزير الطاقة والمناجم السابق وشركاؤه بسوناطراك (سلبا ونهباً).

ولكي يتسنى لهم ذلك لا بد أن يلبسوا (ثوب الزور)، حتى يغفروا الشعب الجزائري كما غره الرؤساء من قبل، الذين أكلوا اللحم، ثم أذابوا الشحم، وأخيرا دقوا العظم.  
هذا الثوب (المزور)، هو رفع لواء (الإصلاحات)، هذا الشراك (الفخ) الجذاب التي يستهوي النفوس ويحملها أن تقع فيه طائعة غير مكرهة.

وهذا الإغراء والافتراء إنما تعلمه هؤلاء الساسة عن مقدمهم، وقائد مسيرتهم، وحامل لوائهم إبليس لعنه الله، الذي علمهم أن يخبروا النفوس، ويبحثوا عن رغباتها ومشتياتها، فلما فعلوا لم يجدوا أفضل من رفع لواء (الإصلاحات) الذي هو محب لكل نفس ترنوا إلى الانعتاق والتحرر، وتريد العيش الكريم، وهذا تماما ما فعله ونجح فيه أستاذهم مع أبويننا الكريمين عليهما السلام، لما شام منهما حب الخلود في ذلك الملك العظيم، فندثر ذلك الفاضح، بثوب الناصح، حتى يصل إلى هدفه ومبتغاه.

﴿وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِِنَ النَّاصِحِينَ﴾.  
﴿فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَى \* فَأَكَلَا مِنْهَا فَبَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَعَصَى آدَمُ رَبَّهُ فَغَوَى﴾.  
وهذا ما سيفعله أولئك الساسة، الذين لو أراد الفساد أن يتمثل في شيء لما وجد مسلاخا أحسن من مسلاخهم، سيتسربلون بثوب الإصلاح سعيا إلى الفساد بجميع صوره وأشكاله (السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي)..  
هذا هدفهم الحقيقي (الإفساد) وإن تظاهروا بسواه.

ولقائل أن يقول: إن تعميم هذا الحكم على جميع الساسة يعتبر من الظلم، - وقد نهينا عنه -، فقولك السابق صحيح - على الجملة - ولكن ألا يوجد في هؤلاء من يروم (الإصلاح) حقيقة؟  
فلنترك لهم الفرصة ليعملوا، ولنترك الحكم عليهم للواقع العملي.  
وجوابا على ذلك أقول: سأجاريك أيها السائل المعترض - من باب التنزل - بأن من هؤلاء الساسة من يروم (الإصلاح) حقيقة، ولكن أليس (للاصلاح) كما لغيره شروط وأركان لن يتأتى بغيرها، ولن يجسد في الميدان بدونها؟، والجواب بلى.

ولهذا أقول: إن الناظر بعين البصيرة قبل البصر، والناظر إلى الحقيقة قبل المظهر، ليرى أن دعاة الإصلاح المزعوم قد فقدوا أعظم الركائز والأركان، التي يقوم على أساسها ذلك البنيان (الإصلاح)، وبالتالي يمكننا أن نحكم على هؤلاء - إن وجدوا - بأنهم مخدوعون، وواهمون، لأنهم يفسدون من حيث يظنون أنهم يصلحون.

وزيادة في التوضيح والبيان، ولتجلية هذه الحقيقة لمن له عينان، أقول:  
إن أي دعوة للإصلاح إذا لم تقم على أساس صحيح يضمن تفعيلها ويحقق مقصودها يعتبر وجودها كالعدم .

و الناظر في راية الإصلاحات المرفوعة في الجزائر و غيرها من البلاد، يجد أنها كالشجرة الخبيثة التي اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار، وذلك لأنها لا تقوم على أي أساس سوى الدعاية والهالة الإعلامية التي تنفخ في ذلك الجسد الميت للضحك على عقول الناس و خداعهم .

**كمثل الطبل يسمع من بعيد      و باطنه من الخيرات خال.**

فهي إصلاحات سطحية، عاجزة تمام العجز عن رأب الصدع وإيقاف النزيف الذي أحدثته (الإصلاحات) السابقة، كما ستعجز (الإصلاحات) القادمة عن إصلاح ما أفسدته (الإصلاحات) الحالية، وسبب عجزها يرجع إلى تجاهلها وتنكرها لأعظم وسيلة للإصلاح عند عقلاء البشرية مؤمنهم و كافرهم، - كما سيأتي - إن شاء الله؛ هذه الوسيلة أو إن شئت لب الإصلاح هو (الدين)؛ وهذا التنكر راجع إلى (الفكر العلماني) الذي عشنش في رؤوس أولئك الساسة وفرخ، والذي حصر مفهوم الدين في خمس عبادات وبين أربعة جدران (المسجد) أما الحياة وواقع الأمة فهو (لقيصر) يوجهه (يصلحه) وفق رغباته وما تمليه شهواته ؛ بل ما تمليه شهوات أوليائه من شرقيين و غربيين.

إن منطلق الإصلاح في ميزان الشرع و ميزان العقل الصحيح (و هذا ما يفقده دعاة الإصلاح المزعوم) هو صلاح القلب و الذي سماه علماء الأخلاق (الضمير) أو (الوجدان).  
فقد قال رسول الله صلى الله عليه و سلم ((ألا و إن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله و إذا فسدت فسد الجسد كله ألا و هي القلب)). [رواه مسلم].

هذا الضمير أو الوجدان أو القلب هو عماد (الإصلاح) و ركيزته الأولى فهو ... يهدي إلى ما تشابه من (المصالح) ((البر ما سكنت إليه النفس واطمأن إليه القلب؛ والإثم ما لم تسكن إليه النفس ولم يطمئن إليه القلب وإن أفتاك المفتون))؛ ويرغب في خيرها ويزع عن شرها و يقف ديدبانا يقظا على حراستها .

(والمجتمع أي مجتمع لا يرقى وينتظم ويسعد بسن القوانين وإصدار القرارات وتنظيم اللوائح ويقظة رجال السلطة؛ - وإن كان لا يستغني عن ذلك كله - وإنما يرقى وينتظم ويسعد بوجود القلوب الحية وتوافر الضمائر اليقظة بين أبنائه؛ ومن الحكم المشهورة (العدل ليس في نص القانون؛ وإنما في ضمير القاضي).

ولبيان أن سن القوانين والدعوة إلى الإصلاح وحدها لا تكفي إذا لم يكن لها أصل ضارب ليس في أعماق الأرض ولكن في أعماق القلب مما يكسبها ثقة المتقيدين بها والعمل على تطبيقها. يقول (جمال الدين الأفغاني) في رسالته (الرد على الدهريين):  
(ليس بخاف أن قوة الحكومة إنما تأتي على كف العدوان الظاهر؛ ورفع الظلم البين؛ أما الاختلاس والزور المموه والباطل المزين والفساد الملون (بصبغ من الصلاح) ونحو ذلك مما يرتكبه أرباب الشهوات؛ فمن أين للحكومة أن تستطيع دفعه؟ وأنى يكون لها الاطلاع على خفايا الحيل؛ وكامنات الدسائس ومطويات الخيانة ومستورات الغدر حتى تقوم بدفع ضرره؟.  
على أن الحاكم وأعوانه قد يكونون؛ بل كثيرا ما يكونون ممن تملكهم الشهوات؛ فأني وازع يأخذ على أيدي أصحاب السلطة؛ ويمنعهم من مطاوعة شهواتهم المتسلطة على عقولهم؟ وأي غوث ينقذ ضعفاء الرعايا وذوي المسكنة منهم من شره أولئك المتسلطين وحرصهم).  
هذه أهمية الضمير لمن يقضي و يحكم.

أما المحكمون بالقانون فقد قال قائلهم:.

**لن يصلح القانون فينا رادعا حتى نكون ذوي ضمائر تردع.**

هذا الضمير أو القلب الحي، لا يمكن أن تكونه (العلمانية) لأنها تعتبره مجرد آلة لضخ الدم في الشرايين؛ وإنما يصنعه الإيمان الذي (هو أعظم مدد للضمير وأقوى (مولد) يغذيه ويمده بالتيار الذي يمنحه الضوء والحرارة والقوة المحركة).  
فعقيدة المؤمن في الله أولا؛ وعقيدته في الحساب و الجزاء ثانيا، تجعل ضميره في حياة أبدا وفي صعود أبدا.



إنه (المؤمن) يعتقد أن الله معه حيث كان، في السفر أو في الحضر، في الجلوة أو الخلوة، لا تخفى عليه خافية ولا يغيب عنه سر ولا علانية ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِنْ نَجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرُ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُمْ بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة:7]

ويعتقد المؤمن لذلك أنه محاسب يوم القيامة على عمله، مجزى به إن خيرا أو شرا فما تقدم من عمل لم يذهب بذهاب أيامه بل كتبه قلم التسجيل (في سجل) ﴿إِذْ يَتَلَقَّى الْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ قَعِيدٌ \* مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق:17 - 18]، وبعد ذلك ﴿فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ﴾ [الشورى: من الآية7]

هذه الحياة التي اكتسبتها هذه المضغة من هذه الألطاف الربانية، هي التي صبغت نصوص الشريعة وأضفت عليها جلبابا من الهيبة والإجلال والتقديس، وحولتها من حروف وكلمات إلى واقع وأعمال دون وازع من سلطان - كما سيأتي -.

يقول علامة تونس الشيخ محمد الطاهر بن عاشور رحمه الله: (... أن من مقاصد الشريعة أن تكون نافذة في الأمة؛ إذ لا تحصل المنفعة المقصودة منها كاملة بدون نفوذها، فطاعة الأمة الشريعة غرض عظيم .

وإن أعظم باعث على احترام الشريعة ونفوذها أنها (خطاب الله تعالى للأمة) فامتثال الأمة للشريعة أمر (اعتقادي) تنساق إليه نفوس الناس عن (طوعية و اختيار) لأنها (ترضي بذلك ربه) وتستجلب به رحمته إياها وفوزها في الدنيا والآخرة وقد قال الله تعالى ﴿قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ﴾ [المائدة: من الآية15]

فالأحكام الشرعية المتلقاة من الرسول عليه الصلاة والسلام كلها وحي من الله تعالى. ثم لم يزل أئمة الشريعة من عهد الصحابة يتوخون أن تكون آراءهم في استنباط الأحكام مستخرجة من التفرع عن أصول الكتاب والسنة. ولذلك كانوا كثيرا ما يشددون النكير على القول بالرأي غير المستند (إلى ذلك). [مقاصد الشريعة الإسلامية: ٣٥٠].

وليس القول بأن الدين هو أساس تفعيل كل (إصلاح) هو قول أئمة الإسلام بل هو قول المنصفين من أهل الملل الأخرى بل هو قول من لا ملة له ولا دين.

( فمن الملحد من يرى أن الدين خرافة و لكن الحياة لا تستقيم بدونه، ويرى الأخلاق لا غنى لها عن هذا الوهم في رأيه.

و يقول آخر: (لو لم يكن الله موجودا لوجب علينا أن نخرعه)!!.

وذلك لما يرى من أثر الإيمان بهذا الإله في النفس والحياة.  
ويقول الأديب الفرنسي الشهير (فولتير) ساخراً: (لم تشككون في الله؟!، ولولاه لخانتني زوجتي وسرقتني خادمي).

ويقول ثالث: (إني لا أعتقد في وجود جهنم؛ ولكن أعتقد أن الفكرة عنها قد باعدت بين كثير من الناس وبين ارتكاب الشر. والذي أراه أن الشاب حين يكتشف أن جهنم لا وجود لها لا يحفل بشيء؛ ووظيفة الأخلاق كما يقول (هوندنج): هو الاحتفاظ بالقيم وبغير الجزاءات الدينية تصبح الأخلاق مجرد تقدير فيختفي الإحساس بالواجب ويقف كل شاب جميع ذكائه وعلمه على التحايل على الوصايا). أي على الدولة وقوانينها.

وقال القاضي البريطاني (دينج) بعد انتهائه من التحقيق في فضائح الوزير البريطاني السابق (جون بروفيمو) وعشيقته (كريستن كلر) معقبا: (بدون الدين لا يمكن أن تكون هناك أخلاق؛ وبدون أخلاق لا يمكن أن يكون هناك قانون).

و يلاحظ أننا سقنا أقوال هؤلاء (الكفار) في تقرير هذا الأمر و هذا لأغراض.  
\* أن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق بها؛ فنحن لا ننظر إلى من قال ولكن ننظر إلى ما قال.

\* أن ما فاه به هؤلاء مسندين في إثبات ذلك إلى الواقع هو مقرر في شريعتنا وقرره أئمتنا رحمهم الله منذ قرون خلت .

\* أننا أثبتنا أقوال هؤلاء في تقرير هذا الأمر لأن (مدعي الإصلاح) يعظمون أقوال المذكورين أكثر من تعظيمهم لنصوص الوحيين، فإذا لم يتعظوا بأقوال أئمة الإسلام؛ فما هي أقوال أهل الشرك و الإلحاد.

\* أن المقصود بالدين في كلام أولئك هو (المسيحية المحرفة) فماذا سيكون كلامهم لو درسوا - ويانصاف - (الحنيفية السمحة)؟.

ويقول الدكتور محمد عبد الله دراز رحمه الله في كتابه (الدين): (لا قيام للحياة في الجماعة إلا بالتعاون بين أعضائها. وهذا التعاون إنما يتم بقانون ينظم علاقاته؛ ويحدد حقوقه وواجباته؛ وهذا القانون لا غنى له عن سلطان نازع وازع؛ (يكفل مهابته في النفوس) و يمنع انتهاك حرماته .

و نقرر أنه ليس على وجه الأرض قوة تكافئ قوة التدين؛ أو تدانيها في كفاءة (احترام القانون) وضمان تماسك المجتمع؛ واستقرار نظامه؛ والتئام أسباب الراحة والطمأنينة فيه.

(والسر في ذلك أن الإنسان يمتاز عن سائر الحيوانات الحية بأن حركاته و تصرفاته الاختيارية

يتولى قيادتها شيء لا يقع عليه سمعه وبصره؛ ولا يوضع في يده ولا عنقه؛ ولا يجري في دمه ولا في عضلاته ولا في أعصابه؛ وإنما هو معنى إنساني روحاني اسمه (الفكرة والعقيدة) ولقد ضل قوم قلوبوا هذا الوضع و حسبوا أن (الفكر والضمير) لا يؤثران في الحياة المادية والاقتصادية بل يتأثران بها (يقصد الماركسيين).

(أجل إن الإنسان يساق من (باطنه) لا من (ظاهره)؛ وليست قوانين الجماعات ولا سلطان الحكومات بكافيين وحدهما لإقامة مدنية فاضلة تحترم فيها الحقوق وتؤدي الواجبات على وجهها الكامل؛ فإن الذي يؤدي واجبه رهبة من السوط أو السجن أو العقوبة المالية. لا يلبث أن يهمله متى اطمأن إلى أنه (سيفلت من طائلة القانون).

(ومن الخطأ البين أن نظن أن في نشر العلوم والثقافات وحدها ضمانا للسلام والرخاء وعوضا عن (التربية والتهديب الديني الخلقي) ذلك لأن العلم سلاح ذو حدين يصلح للهدم والتدمير؛ كما يصلح للبناء والتعمير؛ ولا بد في (حسن استخدامه من رقيب أخلاقي) يوجهه لخير الإنسانية وعمارة الأرض لا إلى الشر والفساد ذلكم الرقيب هو (العقيدة و الإيمان). اهـ  
ويقول الشيخ محمد المبارك رحمه الله في كتابه (ذاتية الإسلام: ١٠؛ نقلا عن (هامش الموافقات: ٥٤٥/٢ - ٥٤٦): (فالتشريع الإسلامي بالإضافة إلى موضوعيته وتنظيمه على أسس ظاهرة وضوابط موضوعية له جذور خلقية في النفس وأصول اعتقادية تغذيه وتمده وتدعم بناءه فالتشريع غير منقطع الصلة بالأخلاق؛ وينفي عن التشريع الإسلامي صفة الفردية) اهـ.

وإذا أردنا نموذجاً عملياً يبين لنا أثر القانون العاري عن الإيمان، وبين القانون الذي يستمد روحه من الإيمان في عملية الإصلاح فلا نجد أفضل من عقد مقارنة بين تلك المحاول اليائسة (تحریم الخمر) التي قامت بها الولايات المتحدة الأمريكية (المجرمة) في هذا العصر، وبين تحريمها في صدر الإسلام الأول.

ها هي (الولايات المتحدة الأمريكية ... وقد انتشرت فيها عادة السكر وشرب الخمر انتشاراً أوقع الحكومة بضرر ذلك على الفرد والأسرة والمجتمع فأصدرت الحكومة قانوناً يمنع الخمر؛ ثم تبين لها بعد مدة يسيرة أنها عاجزة تمام العجز عن تنفيذ قانونها؛ وأن أفراداً وجماعات أخذوا يعيشون في الأرض فساداً بتعاطي الخمر وتهريبها والاتجار بها والتفنن في صناعتها على استخفاء واستحضار أخبث



أنواعها أكثر من ذي قبل.

ومما ينبغي أن نلفت إليه أن هذا الحظر لم يكن (أمرا ملكيا) أو منشورا من امبراطور مستبد أراد أن يرغم شعبه بسلطان القوة وقوة السلطان.

كلا ... إنه تشريع جاء عن طريق برلمان في بلد ديمقراطي دستوري حر ... وقد شرع هذا القانون بعد أن اقتنع به الرأي العام ...

فخوالي عام ١٩١٨ ثارت المشكلة في الرأي العام الأمريكي ... وفي عام ١٩١٩ أدخل في الدستور الأمريكي تحت عنوان ( التعديل الثامن عشر) وفي نفس السنة أيد هذا التعديل بأمر حظر؛ أطلق عليه التاريخ قانون (فولستد).

وقد أعدت لتنفيذ هذا التحريم داخل الأراضي الأمريكية كافة وسائل الدولة وإمكاناتها الضخمة.

١ - جند الأسطول كله لمراقبة الشواطئ ؛ منعا للتهرب.

٢ - جند الطيران لمراقبة الجو.

٣ - شغلت أجهزة الحكومة واستخدمت كل وسائل الدعاية والإعلام لمحاربة الخمر وبيان مضارها؛ وجندت كذلك المجلات والصحف والكتب والنشرات والصور والسما والأحاديث والمحاضرات وغيرها.

ويقدرون ما أنفقته الدولة في الدعاية ضد الخمر بما يزيد عن ستين مليونا من الدولارات (في ذاك الزمن)؛ وإن ما أصدرته من الكتب والنشرات يبلغ عشرة بلايين صفحة؛ وما تحملته في سبيل تنفيذ قانون التحريم - في مدة أربعة عشر عاما - لا يقل عن مائتين و خمسين مليون جنيه؛ وقد أعدم في هذه المدة ٣٠٠ نفس وسجن ٥٣٢٣٣٥ نفس؛ وبلغت الغرامات ستة عشر مليون جنيه؛ وصادرت من الأملاك ما بلغ أربعائة مليون و أربعة ملايين جنيه.

ولكن كل هذا لم يزد الأمة الأمريكية إلا غراما بالخمر؛ وعنادا في تعاطيها؛ حتى اضطرت الحكومة سنة ١٩٣٣ إلى إلغاء هذا القانون وإباحة الخمر إباحة مطلقة.

هذه هي نهاية المطاف؛ وهذا هو ختام القصة... وذلك هو الموجز التاريخي للمأساة التشريعية بأكملها ... تلك التي سميت في تاريخ الأمة الأمريكية (عهد التحريم).

هذا هو أثر القانون (السطحي) - إن صح التعبير - في عملية الإصلاح.



ونعود إلى ما يصنعه (التشريع) الرباني الذي أصله ثابت في القلب وأثره (العمل الصالح) يناطح السماء.

لقد (بعث رسول الله صلى الله عليه و سلم و المستوى الأخلاقي في الجزيرة العربية في الدرك الأسفل في جوانب شتى ... وكانت الخمر والميسر من تقاليد المجتمع الفاشية؛ ومن مفاخره كذلك! يعبر عن هذه الخصلة الشعر الجاهلي بجملته .. كالذي يقوله طرفة ابن العبد..

فلولا ثلاث هن من عيش الفتى  
فمنهن سبقي العاذلات بشربة  
وما زال تشراب الخمر ولذتي  
إلى أن تحامتني العشيرة كلها  
و جدك لم أحفل متى قام عودي.  
كفيت متى ما تعل بالماء تزبد  
و بذلي وإنفاقي طريفي وتالدي.  
وأفردت أفراد البعير المعبد.

(ينظر معالم في الطريق لسيد قطب رحمه الله).  
ويقول الآخر..

إذا مت فادفني إلى جنب كرمة تروي عظامي بعد موتي عروقتها.

ومما يدل على اهتمامهم بالخمر أنهم وضعوا للتعبير عنها أسماء كثيرة و كنايات مختلفة وألقابا متعددة - المدامة؛ السلافة؛ الراح؛ الصهباء؛ ابنة العنقود؛ ابنة الكرم؛ بنت الحان؛ بنت الدنان ... إلى آخر الأسماء التي بلغت أكثر من مائة.

كما أن تجارتها عندهم كانت في نماء و ازدهار.

ومن أدلة شغفهم بها، وتمكنها من نفوسهم؛ أن كثيرا من الصحابة بعد أن نزلت الآيتان الأوليان في شأن الخمر ﴿قُلْ فِيهَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [البقرة: من الآية 219] ﴿لَا تَقْرُبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى﴾ [النساء: من الآية 43] { ولم يكن التحريم فيها صريحا حاسما؛ لم يزالوا يشربون الخمر ما دام في النص متسع لهم.

وذلك أن الإسلام تدرج معهم في تحريم الخمر -رفقا بهم و تيسيرا عليهم- حتى نزلت آية المائدة الصريحة القاطعة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ \* إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ﴾ (المائدة: 90 - 91)

ماذا حدث بعد نزول هاتين الآيتين الكريمتين؟.

يحدثنا أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((كنت أسقي أبا عبيدة و أبي بن كعب فجاءهم آت فقال : إن الخمر حرمت ... فقال أبو طلحة : قم يا أنس فأهرقها ... فأهرقتها)) [متفق عليه]. وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: ((بينما نحن قعود على شراب لنا نشرب الخمر حلة - أي حلالا- إذ قمت حتى آتي رسول الله صلى الله عليه و سلم فأسلم عليه و قد نزل تحريم الخمر ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ - إِلَى قَوْلِهِ: - فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ ، فجئت إلى أصحابي فقرأتها عليهم... قال: وبعض القوم شربته في يده شرب بعضا و بقي بعضا في الإناء... فقال بالإناء تحت شفته العليا كما يفعل الحجام ثم صبوا ما في باطيتهم فقالوا: انتهينا ربنا... انتهينا ربنا!)) [رواه الطبري رحمه الله في تفسير آية المائدة].

هذا هو أثر الإيمان - الذي تنكر له العلمانيون - في مجال الإصلاح ولو ذهبنا نسوق هذا الأثر في جميع مجالات الحياة (في السياسة والحكم؛ في الاعتراف بالجريمة اعترافا ذاتيا مبعثه جذوة الإيمان و ليس عصا السلطان كما حدث مع ماعز والغامدية رضي الله عنهما؛ في مجال رعاية القوانين والأمانات؛ في التجارة والمعاملة ... لطال بنا المقام ؛ وما ذكرناه فيما سبق عبرة.

يظهر مما سبق أن أهل ( الإصلاح ) المزعوم إنما يبنون في الهواء، و يزرعون في أرض سبخة لم يجن منها أهلها والمخدوعون بهرجها إلا النكد و الشقاء، لأنها وبساسة إصلاحات (لقطة) لا أصل لها فهي لم تأو إلى ركن ركين، و لم تبين على أساس متين، لأنه قطع عنها مادة حياتها وما يضمن نجاحها، إنه ماء (الإيمان) واستعاضت عنه بالهالة الإعلامية، ولكن هيهات أن يحل (البحر) مكان (الدر) أو (الظلمات) مكان (النور) أو يكون الجسد الذي تعمه الروح؛ كالجسد الذي خربه البلى، ﴿وَمَنْ كَانَ مَيِّتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام:122] وحين تنفجر تلك (الفقاعة) عن قريب إن شاء الله، بل قد انفجرت، فستجد الأمة المخدوعة بالشعارات الإصلاحية الزائفة نفسها كما قيل عنها:.

نيام أغرقوا في النوم حتى أشيع أنهم شعب بليد.

وأنهم إنما يتجهون نحو ﴿سَرَابٍ بِقِيَعَةٍ يُحْسِبُهُ الظَّمَانُ مَاءً حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا﴾ [النور: من الآية39]

أما دعاة (الإصلاح) المزعوم فسيلجئون حينئذ إلى كيسهم ليستمدوا منه كذبات آخر ودعوات ليجعلوها حبالا يطوقون بها أعناق الأمة ليقودوها - كما قادوها من قبل - إلى حتفها إلا أن يتغمدها الله برحمته.

لنا في الشرق أوطان و لكن \* تضيق بنا كما ضاقت لحدود  
تنازع أهلها فكل حزب \* حمى و لكل مملكة عميد  
نقيم بها على ذل و فقر \* و نظماً لا يسوغ لنا الورود  
أكاذيب السياسة بينات \* تأكيد بها الحكومة ما تأكيد  
وعود كلها كذب و زور \* فكم و إلام تخدعنا الوعود  
إذا ما الملك شيد على خداع \* فلا يبقى الخداع و لا المشيد  
و من لم يتخذ ملكاً صحيحاً \* فلا تغني الممالك و الحدود  
و قالوا دولة نشأت حديثاً \* تؤيدها السياسة و العهود  
كذبت ما لنا في الأمر شيء \* فقولوا إننا شعب عبيد .

أما نحن الذين لا نبغي عن شريعة الله بديلاً، ولا نرضى بالتحاكم إلى غيرها في حقير ولا جليل، فنقول: إن إصلاحاتكم تحمل حتفها في طياتها، وإن أظهرتموها على غير حقيقتها، خداعاً للسذج من المسلمين، كالأهر يحكي انتفاخاً (صورة) الأسد، فهي تنتفش ولكنها ستنتكس، لأنها من الباطل الدخيل وإن ألبستموها لباس الحق الأصيل، فالله سيظهر للعالمين مكرهم، وسيبطل بعباده المؤمنين سحرهم.

﴿فَأَمَّا الزُّبْدُ فَيَنْذَهُبْ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنْفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الْأَرْضِ﴾ [الرعد: من الآية 17]  
﴿وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِيُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: 49]  
﴿وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الْأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [ابراهيم: 26]

فرهط الحكومات قد جانبوا \* هداهم وضلوا صراط السداد  
وقد أركبتهم سياساتهم \* مراكب تجري بوجي العناد  
فبعض تظاهر في غيه \* وبعض تستر خلف الحياء  
نسوا واجب الخلق و استكبروا \* فعم البلاء وطم الفساد  
فكيف النجاة و كيف الحياة \* و كل له في هواه اجتهد  
و كل يريد استيقاق القطيع \* إلى مبتغاه وبئس المراد  
فهلا ابتدرنا إلى نجدة \* و هلا استجبنا لداعي الجهاد  
فإما حياة الهدى و الإباء \* و إما الشهادة يوم الجلال ..

وبعد..أيها المسلم الناصح لدينه ونفسه وأمته ، قد أبنت لك -فيما أحسب- أن الجري وراء  
العلمانيين المتدثرين بثوب (الإصلاح) الأعرج الذي فقد أعظم مقوماته (الدين)، التي ينحويهم نحو  
الإصلاح الحقيقي، إنما يرومون خداعك ليمتطوا ظهرك وينتهبوا ثرواتك، ويستحوذوا على خيراتك،  
وقبل ذلك ليعزلوك عن ممارسة والعيش تحت شرائع دينك (الحكم بالشرعية التي هي جماع خيري  
الدنيا والآخرة)، فاحذرهم أن يفتنوك بتلك الزخارف، فتكون بذلك عوناً لهم وأي عون، على  
دينك، ونفسك، وأمتك، ووطنك، فابتعد عنهم واعتزلهم، وفر منهم فرارك من الأسد، بل أشد،  
لأن الأسد يفسد عليك دنياك، وأما هؤلاء فيفسدون زيادة على ذلك (أخراك)، فهم لعمر الله  
أضر من صاحب الكير الذي ضربه النبي صلى الله عليه وسلم لجلسيس السوء فقال: (مثل المجلس الصالح  
وجليس السوء كحامل المسك وناخ الكير،... وناخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه  
ريحا منتنة)، وهم (مدعي الإصلاح) إما أن يسعوا لإبعادك عن دينك، وإما أن يسعوا في انتهاب  
خيراتك وثرواتك، بل هم لخبثهم يجمعون بين الأمرين، ليزيقوك الأمرين.  
ألا هل نصحت.. اللهم فاشهد.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



وكتبه: أبو أحمد عبد الكريم القسنطيني  
عضو الهيئة الشرعية لتنظيم القاعدة ببلاد المغرب الإسلامي

15/شعبان/1434

June/23/2013